المحاضرة الأولى

بلاد المغرب :

هي المنطقة الممتدة من حدود مصر الغربية إلى غاية المحيط الأطلسي ومن بلاد الصحراء إلى البحر المتوسط ، [1] أو يمكن القول بأنها تلك المناطق الواقعة شمال إفريقيا عدا مصر.

أقسام بلاد المغرب :

ويمكن تقسيم بلاد المغرب إلى أقسام رئيسية هي :

01 - برقة وطرابلس وما والاها (ليبيا حاليا) : وهي أول مناطق بلاد المغرب من جهة الشرق غير أن بعض المؤرخين يدمج بلاد ليبيا مع منطقة افريقية (تونس حاليا) .

02 - افريقية : وتمتد من خليج سرت إلى حتى بجاية أو تاهرت بالمغرب الأوسط وقاعدتها مدينة القيروان ، ولفظ افريقية مشتق من كلمة aphri التي أطلقها الفينيقيون على سكان هذه المنطقة (اوتيكا وقرطاجنة) ، ثم عمّمه اليونان فيما بعد على كل سكان المغرب من حدود مصر إلى المحيط الأطلسي [2] ، ويعرف كذلك بالمغرب الأدنى لقرب جغرافيته من مركز الخلافة الإسلامية بالمشرق .

03 - المغرب الأوسط : ويمتد من تاهرت إلى وادي ملوية وجبال تازة غربا وقاعدته تلمسان وجزائر بني مزغنّة . ويعرف بالمغرب الأوسط لتوسطه المغربين الأدنى والأقصى .

---

[1] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : تاريخ المغرب والأندلس ، المطبعة التجارية الحديثة ، القاهرة ، 1990 ، ص 12 .

[2] عبد العزيز سالم : المغرب الكبير - العصر الإسلامي- دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 ، ج 2 ، ص ص 126 – 127 .

04 - المغرب الأقصى : ويمتد من وادي ملوية شرقا إلى حدود المحيط الأطلسي غربا وجبال درن جنوبا ، وقاعدته فاس ومراكش ومن أهم مدنه كذلك مكناس ، سلا ، درعة . وعُرف بهذا الاسم لوقوعه في لبعد جغرافيته عن مركز الخلافة الإسلامية في المشرق [3].

الجغرافيا المغربية :

تمتد في بلاد المغرب سلسلتين جبليتين كبيرتين :

01 - سلسلة شمالية : وتنقسم إلى قسمين يمتد القسم الأول من طنجة حتى مليلة ويعرف بجبال الريف وهي جبال متوسطة الارتفاع ، أما الفرع الثاني والمهم فيمتد من المحيط الأطلسي شمالي وادي سوس حتى الشمال الشرقي ويعرف لدى العوام بالأطلس التلي .

02 - سلسلة جنوبية : وهي جبال على شكل سلاسل ممتدة في جوف الصحراء ممتدة من جنوب وادي سوس (الأطلس الكبير) حتى تونس وهي موازية للأطلس التلي بشكل عام .

وتمتد بين السلسلتين السابقتين هضاب واسعة فيها كثير من المراعي تتخللها بعض الشطوط ، أما بالنسبة للسهول فمنها من يوجد بمحاذاة الساحل وهي ضيقة في المغرب الأدنى وتتسع كلما اتجهنا غربا ومن أشهرها سهل وادي مجردة بالمغرب الأدنى وسهل وادي شلف ومتيجة بالمغرب الأوسط وسهول فاس ومكناس بالمغرب الأقصى ، كما توجد سهول داخلية مثل سهل سبو وممر تازة بالمغرب الأقصى ،سهول توزر وقفصة بالمغرب الأدنى وتخترق هذه السهول مجموعة من الأودية .[4] كما توجد في الصحراء بعض الواحات ، ناهيك عن التضاريس الصحروية المنتشرة هنا وهناك كالرق والعرق والحمادة .

---

[3] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : المرجع السابق ، ص 12 .

[4] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص ص 129 – 131 .

الشكل رقم 1 : خريطة بلاد المغرب [5]

[5] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : المرجع السابق ، ص 7 .

سكان بلاد المغرب :

إن السّاكنة المغربية ليست سلالة نقية بل هي هجين وخليط من عدة أطياف منهم السكان الأصليون وهم الليبيون وهناك السكان الوافدون المتمثلين في طوائف يهودية أو سامية أو هند أوربية كالرومان والوندال والإغريق ، ومنها الزنجية ، غير انه يمكن التركيز على الفئات التالية :

01 - الروم : وهم البيزنطيون .

02 - الأفارقة : وهم بقايا شعوب قرطاجة وأخلاط من المستعمرين اللاتين وبعض السكان الأصليين المتأثرين بالحضارة الرومانية والرومية [6].

03 - البربر : وهم السواد الأعظم من سكان بلاد المغرب ، وقد أطلق الرومان اسم البربر barbari على كل سكان بلاد المغرب باعتبارهم غرباء عن حضارتهم ، وهناك خلاف حول أصل البربر فمنهم من ارجع أصلهم إلى أقوام وافدة من أوربا وهناك من قال بمجيئهم من آسيا .[7]

أوضاع بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي :

تعرضت بلاد المغرب إلى حملات استعمارية متتالية تمثلت في الرومان والوندال والبيزنطيين ، وقد عانت المنطقة من ويلات الاحتلال وسياساته الاستغلالية والتدميرية والهمجية ، وكان آخر احتلال خضعت له بلاد المغرب هو الاحتلال البيزنطي ، حيث حكم عدة ولاة بيزنطيين بلاد المغرب (مثل صولومون ، جرمانوس ، سرجيوس ، واريو بندوس ، جان ترو جليطة ، جناديوس ، جرجيريوس) [8].

لقد كان الأباطرة البيزنطيون يتفننون في استغلال خيرات المغرب وإذلال شعبه ومصادرة أملاكه ، ويقومون بتعيين الوالي أو الحاكم العام بأنفسهم والذي ينوب عنهم في تسيير بلاد المغرب ، ويستقر في قرطاجنة وله كل الصلاحيات ،

---

[6] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : المرجع السابق ، ص 13 .

[7] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص ص 133 – 134 .

[8] نفس المرجع ، ج 2 ، ص 57 وما بعدها .

ويساعده موظفون ومستشارون وقضاة ... [9] ، غير أن آخر والي بيزنطي وهو جرجيريوس حاول الاستقلال عن الإمبراطورية البيزنطية الأم فضرب العملة باسمه ، وغادر قرطاجة واستقرّ في سبيطلة الواقعة في الداخل التونسي ، والتي يُرجح من ورائها ابتعاده جغرافيا عن أي انتقام محتمل من الإمبراطور البيزنطي وذلك بنقل العاصمة إلى الداخل ، كما قد يكون المبرّر هو الهروب من أي هجوم عربي محتمل بالتخندق وراء التحصينات الرومانية ، وقد يكون كذلك رغبته في ضم برقة وطرابلس إلى ولاية افريقية وهذا هو الأرجح لان جريجوريا كانت مقيمة ببرقة وتم خطبتها لقسطنطين ابن الإمبراطور هرقل .

كانت بلاد المغرب مقسمة إلى سبع ولايات منها ولايات قنصلية وهي زوجيتانيا (شمال تونس) + بيزاسين (جنوبي تونس) + طرابلس ، وأربع مديريات وهي : نوميديا (شرق قسنطينة) + موريطانية الأولى (سطيف) + موريطانيا الثانية (شرشال) + موريطانيا الطنجية ، وانصرفت جهود الولاة البزنطيين إلى جمع الضرائب بالقوة واستغلال السكان وامتصاص كل مواردهم ، وهو ما انعكس سلبا على السكان بترك مزارعهم وتصفية تجارتهم في الغالب ودخولهم في صراع مع السلطة الحاكمة .

اهتم البيزنطيون بتنظيم الجيش المتألف من القوات النظامية (مشاة وفرسان) والمرتزقة ، كما شيدوا القلاع والحصون للتحصّن فيها وحماية أنفسهم من أي فلتان امني مغربي محتمل وأعادوا إحياء التحصينات الحربية لإسلافهم الرومان[10] .

إن سياسة التعسف التي سلكها الحكام البيزنطيون تجاه المغاربة ولدت ردود أفعال عنيفة تمثلت في عدة ثورات عبّرت عن رفض المغاربة للاحتلال الرومي ومنها تلك الثورة التي اضطرمت نيرانها بين سنتي 535 – 548 م وصرف حكام بيزنطة جهودا مضنية للقضاء عليها ، ومنها كذلك الثورة التي قادها كوتزيناس coutzinas

[9] عبد العزيز شهبي : تاريخ المغرب الإسلامي ، ط 1 ، مؤسسة كنوز الحكمة ، الجزائر ، 2013 ، ص 7 .

[10] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص ص 77 – 82 .

وايفيسداياس ifisdaias ، ناهيك عن الهجمات المتكررة للقبائل البدوية للبربر الضاربة في الصحراء ضد الجيوش البيزنطية خاصة إقليم طرابلس .[11]

إن المقاومة البربرية المستدامة جعلت النفوذ البيزنطي يكاد يتمركز في المناطق الساحلية وبعض المناطق الممتدة بجنباتها ، في حين ظلت القبائل المغربية تبسط نفوذها عل ما سوى ذلك من المناطق دونما رادع لها ، متمتعة بالاستقلال التام في تسيير شؤونها . أما ساكنة تلك المناطق الخاضعة للسلطة البيزنطية المتعسفة والمتسلطة فقد وجدت في الفاتحين المسلمين أفضل خلاص لهم من عيش الذل والهوان والتمييز .[12]

أما عن التركيبة البشرية فان المجتمع البربري خليط من الأجناس كالبربر والزنوج واليهود والفينيقيون والرومان والوندال والإغريق وغيرهم . ذابت تلك العناصر فيما بينه مشكِّلة مجتمعا متعايشا ، إذ شكلت القبيلة محور الأساس لهذا المجتمع .

أما عن المجتمع القبلي البربري فيمكن تقسيمه إلى :

01 - البرانس : ينتسبون إلى برنس بن بر فسموا برانساً ويرتدون بشكل عام البرنس وقبائهم الرئيسة أوربة ، صنهاجة ،كتامة ،مصمودة ،أوريغة ، أزداجة ، لمطة ، هكسورة ، جزولة ...الخ

02 - البتر : ينتسبون إلى مادغيس بن بر الملقب بالأبتر ، فسموا بذلك بترا ، وقبائلهم الرئيسة هي : ضريسة ، نفوسة ، أداسة ، لواتة . وتفرع عنها قبائل مثل مكناسة وزناتة ومغراوة وبني يفرن وبنو زيان وغيرهم .

أما من حيث الوجهة الاجتماعية فينقسم البربر إلى مجموعتين هما :

01 - البربر الحضر : يسكنون السهول الخصبة والمدن والهضاب المزروعة ويعيشون على الزراعة والصناعة .

---

[11] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 57 وما بعدها .

[12] عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص 8 .

02 - البربر الرُّحل : ويعيشون على الرعي والترحال ، ويميلون للإغارة على السهول وما جاورهم من مناطق عمرانية .[13]

أما عن النشاط الأساسي للساكنة المغربية فقد غلبت عليه الفلاحة بشكل عام سواء الزراعة أو الرعي والترحال ، ومن أهم المنتجات الزراعية الحبوب والزيتون والكروم والتّمور ، أما الثروة الحيوانية فقد تنوعت بين أغنام وماعز وابل .

[13] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : المرجع السابق ، ص ص 14 – 15 .